اغتراب

أرتشف بعض الحنين الملغز من الكابتشينو الدافئ، أذوب في خفقات الكريمة وفي قطرات الكحل السائل على وجنات الغجرية المليحة، التي جلست قبالتي تقرأ لي فنجاني السابق من القهوة، كانت عيونها ملغزة الحنين أيضًا متناصة مع سحر الكابتشينو، تنظر في عيني تخبرني بعيونها أكثر مما يبوح لسانها لي.

تتراقص دمعة حزن تأبى أن تنزلق من عينيها وهي تقول:

«ماضيك مر كقهوتك ومستقبلك تكتبه بعض حروف من ماضيك وحروف أخرى من ماض آخر».

تعجبت ولكنني تركتها تكمل.. أقرأ عيونها وتقرأ فنجاني:

«أمامك طريق طويل يمتصّه الضباب في أحشائه مخلفًا وهمه الأبيض، تبدده أشعة شمس هاربة ضلّت طريقها، أشعة ذابلة تصارع من أجل الحياة، فنجانك ملئ بالرموز والصور وأكثر ما يدهشني فيه كتلة السكّر، التي تجمّعت

حـول صـورة وجـه وعلـم وبعـض قطـرات تشـبه قطـرات الدمـاء تقطـر مـن قلـب ممـزق يقبـع في قـاع الفنجـان».

تفـرّ دمعـة مـن قلـبي، يذرفُهـا خلسـة، يخفيهـا عـني، عيونهـا

رأت الدمعـة تحمـل اسمًـا وتاريخًـا وعنوانًـا وقصيـدةً، ولكنّهـا صمتـت.

أحيانـا يتركنـا الـكلام، ويرحـل عندمـا ييـأس مـن جـدواه، يغـترب في غيرنـا تـاركًا لنـا عجـز الأسـرار وحـيرة القـرار.. وأوراق تاريخنـا المصفـرة تتسـاقط كأوراق الشـجر في خريـف العمـر.

قالت:

«يا بني انتهيت».

ولكـن عيونَهـا لم تنتـه بعـد، ولم أنتـه منهـا ومـع ذلـك أعطيتهـا نقـودًا، وتركتهـا تنصـرّف مخلفـة الدهشـة تمتـزج مـع سـؤال حائـر... قهوتـي كانـت سـادة!!